قصيدة للزمن الفلسطيني

يكبر الجرح على جبهتها
ويجيء الناعق الغابيّ مثلوم التقاطيع وينمو
الف ثلم فوق ارضي
والتجاعيد على وجه جنين انثوي كلما
ولدته المرأة ارتد الى الرحم ليمضي يومه التالي ـ
انتظارا للولادة .
(انا شاهدت مولده مساء الاربعاء هنا
وعودته صباح اليوم للرحم المزق منهك النبض.
وأخبرني بأن رجوعه هذا هو السابع)
. . . . . .
يسقط الثلج على جبهتها
. . . . . .
ومغنيها يشق الدرب بالكفين والآتي الخرافي وراءه
وجهه بيدر قمح مشبع بالمطر
راحتاه اخضرتا بالثمر
وعلى ظهر هموم الانتظار
تطلع الجنية المسلوبة العينين من تربة جاري
آه من طلعتها الشاحبة اللون ومن قصتها
(انا شاهدت مولده الخميس هنا
وعودته صباح الجمعة التالي لرحم الأم
وأخبرني بان رجوعه هذا هو الثامن)
. . . . . .
ومغنيها يرد الزاحفين الكثر عن عفتها .
. . . . . .
وذكور الطيور والسخط الذبابيّ الذي يملأ احشاء الدوائر
حاملا اصوات من ماتوا على ساحتها :
حزمة من حطب الغاب الذي حطمه الفأس الخرافيّ ـ تعود ـ

خضرة الأخصاب فيها ، والوريقات . وتمتد جذور في التراب
(فتولج في الهواء غصونها الخضراء
وترتج البراعم في جوانبها
وترتعش الذوائب في اعاليها
وتمعن في التوغل في نسيج بكارة الأشياء)
وانا امشي على بيدر ايامي الذي يصفر عاما بعد عام
انزف العمر على عزتها
حاملا في كفي المدميّ ، يا حبي ، بذوري وانتظاري .
(انا شاهدت يوم الجمعة المغبر مولده
وعودته صباح السبت ، للرحم المزق
صاخب النبض
واخبرني بان رجوعه هذا هو التاسع)
. . . . . .
يثمر الجرح على جبهتها
. . . . . .
ويشق الذكر البريّ في تربتها
كل اثلام التواريخ التي نمقتها
آه من طلعتها الشاحبة اللون ومن قصتها :
ماتت الايام فيها ست مرات وقبل السابعة :
عندما مرّ صغار الحي في شارع هرون الرشيد
وقفوا ، لا عند بياع الجرائد
وقفوا ، لا عند مذياع الكافتيريا
ولا عند الذي يعبث بالحظ واوراق اللعب
وقفوا ، لا عند دجال المدينة
بل عند منعطف الشارع كانوا واقفين
يلمحون القمم الحمراء في افق الغروب
كانت اللحظة اغلى ونداء الدرب احلى
وخطى الصبية اجمل
حينما مروا عن المنعطف الأصفر
ـ وامتدت خطاهم للجبال
انا شاهدت مولده الاخير هنا مساء اليوم
وما زالت عيوني السود اسئلة تحدّق في صباح الغد.

الكويت

مريد البرغوثي